بحوث قسم الفسفة

وقائع عقدية في ميزان العقل، وفيه.

أنشودة الله والدين. التصحيف والمغالطات (في عمر الكون). أشكال الحياة في الفضاء.

and it. ،Titled: Doctrinal facts in the balance of the mind
Song of God and religion. Correction and fallacies (in the age of the universe). Life forms in space.

الباحث/ على حسن الجرايحي على الزيني

_ التمهيد _

١_ كيف نُبرهِنُ بالأدلةِ العلميَّةِ على وُجُودِ الغائبِ على الشاهد؟.

٢_ لماذا هناك عالم يُعرف بعالمِ الغيبِ؟، ولما يَغِيب؟.

٣_ وكيف نتعرفُ لِجلالِ الله؟، معرفة تُعوِضُ فَقدَ أبصارِنا لرُؤيَتِهِ تعالىَ؟.

٤_ وهل بالفعل المعتقدآتُ الدينيَّةُ عبارةٌ عن حكاياتِ تفتقرُ للدليلِ المقنِع كما يقول ساغان؟.

٥_ أم أن هناكَ أدلةٌ واضحةٌ ولكنْ لمْ تَقرأهاَ شاشاتِ العُقُولِ البشريَّةِ بعد؟.

٦_ أم هي مقروءةٌ بالفعل، ولكن أِستعلى كارل ساغان على الإعترآفُ بها؟.

٧_ وأخيراً؛ ما علاقةُ هذهِ النقطةُ بالبحثْ؟.

كل هذهِ التساؤُلات وغيرِهَا نُجيبُ عليها في نِقاطِ البحث بإذن الله.

أولاً: أنشودةَ الله والدين:

يقول الدكتور ساغان: من بين العقائدِ والمذاهبِ الدينيةِ الشهيرةِ تردُ فكرةٌ عظيمةٌ شائعةٌ عن "وُجُودِ خالقٍ للكون". فهيَّ فكرةٌ يصعبُ إثباتُ صِحتِها أو رفضِهاَ، إذ قال موسى بن ميمون، في كتابِ دلائلِ الحائرين: "إنَّ الله لا يُمكِن أن يُعرفَ بصدقٍ إلا إذا كانت هناكَ درآسَةٌ حرةٌ وصريحةٌ لعلميّ الطبيعةِ واللاهوت (ج١، ص:٥٥) فماذا يُمكِن أن يَحدُث لو أن العلمَ بيّنَ وُجُودِ كونٍ قديمٍ قِدماً لانِهايةَ له؟ إذن لوجَبَ تَنقِيحُ اللاهوت" (ج٢، ص: ٢٥).

وهذا حقاً الإكتشافُ الوحيدُ المفهومُ الذي قام بهِ العلم والذي يستطيعُ إثبات عدمِ صحةِ وجودِ خالقٍ للكونِ كما يقول ساغان. لأن الكونَ اللانهائيُّ في القِدَمِ لا يُمكِنُ أن يكونَ مخلوق، إذ لا بدَ أنه كان موجوداً دائماً. وثمةَ مذاهبَ ومصالحَ وأهتماماتٍ أُخرى تُقلقُ أيضاً بشأنِ ما سيكتشِفُهُ العلم، وأصحابُهَاَ يُنادونَ بأنهُ: ربما يكون من الأفضل ألا نَعرِف.(١)

الكتابُ المقدسِ نَفسَهُ يُقالُ أنهُ موحي بهِ من لَدُنِ الله. وهي عِبارةٌ عن معانٍ عديدة. ولكن ماذا لو أنهُ من تأليفِ عُقُولٍ بَشريةٍ قابلةٍ للخطأ؟. ويُقالُ أن المعجزاتُ شُوهِدت، ولكن ماذا لو أنها بدلاً من ذَلِكَ كانت مَزيجاً من الشعوذةِ؟، وحالاتٍ غيرِ مألوفةٍ من الشُعُورِ؟، وإساءةِ فهمٍ للظواهِرِ الطبيعية؟، والمرض العقليُّ؟. لم يبدُ لي أن هناكَ دين مُعاصِرٌ لناَ أو عقيدةٍ من العصرِ الحديثِ تَحسِبُ حساباً كافٍ لما كشَفَ عنهُ العلمِ الحديثْ. غيرَ أنيّ بالطبعِ قد أكونُ علي خطأً. (٢)

لقد لَعِبت القبيلةُ الدينيةُ دوراً مهماً في إخضاعِ البشرِ لِمُعتَقَدٍ ما. إذ أمنت الفرقُ الدينيةُ الغربيةُ بأنهُ كما نَخضَعُ نحنُ لله، فإنَّ ما في الطبيعةِ عليهِ أن يَخضَعَ لنا. وفي العُصُورِ الحديثةِ بشكلٍ خاص يبدو أننا التزمنا بالنصفِ الثاني من هذا القولِ أكثر من النصفِ الأول.

في العالمِ الواقعيُّ الملموس الذي يكشفُ ما نفعلهُ وليس ما نقولهُ يطمحُ كثيرٌ من الناسِ أن يَكُونُواُ سادةَ الكون ــ مع الإذعانِ حسبِ الإقتضاءِ كما يتطلُب العُرف الإجتماعي ــ أي من الآلهةَ التي تتفقُ مع الحدآثةْ.. وتُعتبَرُ فكرة " نحن في مواجهةِ الطبيعة" ميراثاً

من تُراثِناَ الدينيّ.. وهناكَ المزيد من ذلكَ أيضاً في الكتابِ المقدس ــ وفي التعاليمِ المسيحيةِ في القُرُوْنِ الوُسطى التي نشأ عنها العلمُ الحديث ــ في أسطرٍ مماثلةٍ.

والإسلامُ على العكسِ من ذلك، فهوا يُنفِرُ من القولِ بأنَّ الطبيعةَ عدوٌ لنا.. ومن المعلومِ أنَّ العلمَ والدين بنيةٌ معقدةٌ، متعددةِ المعاني.. وفي الحقيقة ليس هناك في التعاليمِ – اليهُوديةِ – المسيحيةِ – الإسلاميةِ – ما يُضاهي تَدليلَ الطبيعةِ في التعاليمَ –الهِندُوسيّةَ – البوذيةَ – اليابانية –.. وفي الحقيقةِ كذلك، أنهُ قد إنحادَ الدينُ الغربيُّ والعلمُ الغربيُّ عن طريقِهما ليُؤكِدَا أن الطبيعةَ مجردَ مسرحٌ للأحداثِ وليستِ الأحداثُ نَفسَهَا، وأنَّ النَظرَ إلى الطبيعةِ كشيءٍ مُقدس تَقليلٌ من واقِعِيَّتَهَا.(٣)

على ما يبدوا أنَّ الدكتور ساغان على طولِ عرضهِ لفكرةِ وجودِ إلهٍ، لا تَخرُجُ عن الإطارِ المتقدِم، وهو يُحاوِلُ أن يمسَ بإثارةِ هذهِ القضيةِ وجدانَ المفكرين على نحوٍ يُشابِهُهْ. ظناً مِنهُ أنهُ بذلكَ يضع عجلةَ الفكرِ على طريقِها الصحيح. ولقد زعمَ أنهُ يوجَّهُ الكلامَ إلى الضميرِ الإنسانيُّ أولاً، ثم أخذ يلفِتُ نظرَ الشعُوبُ عامةً إلى أن الحالَ في التقدُمِ والنهُوضِ هو تركُ الجدلِ بالباطلِ لإحياءِ مشاكلَ عقديةَ لا فائدةَ من ورائِها إلا مضيعةَ الوقت، وإهدارِ المجهودِ الذهنيُّ فيما لا طائلَ مِنهُ.

ولكنهُ وعلى الجانبِ الأخرِ يُفهمُ من كلامِ الدكتور ساغان الإنكارُ صراحةً لوجُودِ خالقَ سبقَ بالخلقِ كُلَ نواميسِ الكون. حتى ولو كان يُناقِشُ الأمرَ على أنهُ قضيةٌ من القضاياَ العلميةَ المطرُوحَةَ للحكمِ وإبداءِ الرأي، زاعماً أنهُ لا يَتخَلَلُ الوجودَ أيَّ شيءٍ من المعجِزاتِ الدالةِ على وُجُودِ الله. وهو بذلك قد وضعناَ ووضعَ نفسهُ أمامَ خِياراتٍ لا مَفرَ من ذِكرِهَاَ:

أُولهَاَــ أنهُ قد يكُونُ من كثرتِ الآراءِ التي أُدخِلت بالتحريفِ على الكِتابِ المقدسِ "التوراةَ والإنجيل" والذي لا يتماشى مع العُقُولِ العِلميةِ المعمليةِ من الكلامِ لا يليقُ بِنظَامِ الكونِ الواسعِ الدقيقِ. والذي نوه عنهُ بلفظةِ (الدينِ الغربيُّ في ص: ١٩٧ من كتابِ عالم تسكنه الشياطين) وبالتالي يكونُ بذلك عندهُ الحقُ في أن يقولَ "لا إله". إن كان الإله المعبود بهذهِ الضآلةَ التي صورتهَاَ الكُتبُ المحرفةُ في بعضِ كِتابَاتِهاَ (تَنزَهَ اللهُ وتعالىَ عنها) ويكون بذلك ذا عُذرٍ لأنهُ لم يتعرف على الحقيقةِ المتَطَابِقِ عليها العِلّمُ تمَامَ التطابُق، لو إبتعدناَ عن التحريفِ في أَحَدِهِمَاَ.

ثانياً_ أو إنهُ يكُونُ قد طالعَ الحقيقةَ الجوهريةَ في معرفةِ اللهِ. وثبت أمام نفسهِ وعقلهِ وجودَ اللهِ تعالى، وأنهُ هو الذي بيدهِ سرُ الخلقِ، والمستَحِقُ بالفعلِ للتقدِيسِ والعُبُودِيَّةِ. ومع ذلك ظَلَ على عِنَادِهِ من بابِ المحافظةِ على الشُهرَةِ ولفتِ أنظارِ الإعلامِ العالميُّ إليهِ كغيرهِ ممن سَبقُوهُ وتأسىَ بهم في التشكيك والإلحاد (وقد ظهر ذلك في ص: ٢٣ من كتاب عالم تسكنه الشياطين وفي ص:١٩٧ كذلك). وفي هذهِ المسألةُ يكُونُ قد عرضَ نفسهَ لرميهِ بالخيانةِ العلميةِ وعَدَمِ التصديقِ عنهُ، لا في عُلُومِ الفضاءِ ولا غَيرِهاَ. فبما أنهُ أنكر وُجُودَ اللهِ حقيقةً؛ فلا يُأتَمَنُ بعد ذلكَ على معلومةٍ يَسُوقُها إلينا، إذ من الطبيعيُّ وقتها أن يُضَلِلَ الحقيقةَ الدالةَ على الله، وينفيّ وُجُودَهاَ، بِحُجَةِ أنهُ عالمٌ من عُلماءِ الكونِ والفضاء، ويرى هو وغَيرِهِ من أصحابِ النزعَةِ المآديةِ مالاً يراهُ الأخرين. إذ يقعُ في ذِهنِهِ أنَّ كَلاَمهُ مُقدسْ، أما كلامَ اللهِ أو الرُسُلُ أو أَصحَابُ البَصِيرَةِ فلا.

ثالثاً_ ثُمَ كيف يقولُ بِأنهُ لا تُوجدُ مُعجِزَاتٌ في الكونِ تدلُ على الله. ولا حتى حدثت للرسل (والذي وضَحهُ صراحةً في ص: ٦٦ من نفس الكتابِ السابقِ بالذكر) مع أنَّ المعجِزَاتُ أكثرُ من أن تُحصَى أو تُعد. وليست ظواهِرَ طبِيعيَّةَ أو حالاتٍ مَرضِيَّةٍ كما يزعم. فلو نظرنا قِصةَ "مَريَّمَ العَدرَ" وحدها؛ سنجد أنَّ حياتها وولَدَها مُعجِزَةٌ بكُلِ المقاييس الطَبيعيَّةِ العلميَّةِ والعقليَّةِ المجردةِ بِكُلِ أبعادِ الكلمة. فَمِنَ المعلُومُ أنَّ (مَريَّمَ العدرَ – أو العذراءُ) لم يُنكر حقيقةَ زمَنِها القاصيِ أو الداني في التاريخِ والجميعُ مُتَفِقٌ على ذلك.

*_ كيفَ حملت وهي لا تحيض؟. ومعلومٌ أن التي لا تحيض لا تلد؟ حتى لو تغشاها ذكرٌ من بنيّ جِنسِهَا.

*_ وإن قال أحدٌ أنَّ جبريلَ عليهِ السلامُ لقحها أو نفَخَ في ضِرعِهَا فهو مَردُود. لأنَّ جبريلَ عليهِ السلام هو طآقةٌ نورآنيةٌ تَكَونت مَلآكاً. ومَريَّمَ مآدةٌ من الطينِ والرُوحِ تكونت إنسان. فلا يستطيعُ النورَ أن يَتَغَشَى الطينِ فيَحمَل. ناهيكَ عن أنَّ النورَ أصلاً لا يتنَاكحُ ولا يشتهيّ. فهو مقطُوعُ الشهوةِ من أجلِ العبادة؟.

*_ وبغضِ النظرِ عن ذلك جميعاً؛ فإنَّ أيةَ الإعجازِ أن مَريَّمَ حملت ودامَ حملُهَا لِساعاتٍ معدُودَاتٍ من نهارٍ واحدٍ فقط. ودللت عليهِ أيآتُ القرآنِ بترتيبٍ بديعٍ في الحديثِ مستخدماً (ما

يُسمى بفاءِ الترتيبِ والسُرعة) في ١٦ موضع متتالٍ، من بدآيَةِ القصةِ عن مَريَمَ وولَدِهاَ، وجدالِ المتحزبينَ بالكُرهِ ضِدهَاَ (في الآيات من ١٥ إلى ٤٠ من سورةِ مريم).

فلم يُفصل بينَ أحدآثِ القصةِ بأيّ حَدِثٍ جانبيٌّ من وقتِ كلامِهاَ مع جبريلَ عليهِ السلام، إلى وقتِ مِيلآدِ عيسى النبيِ عليه السلامُ من قُبُلِهَاَ. ولِقاءِهاَ بالناسِ، ورَميّهَا بالبهتانِ وقتَها. حتى أسكتَهُم إلى الأبدِ سماعِهِم لصوتِ كلامِ رضِيعِهَا حين تَكَلَمَ في المهدِ. فإذا لم تكن هذهِ مُعجِزاتٌ، فما هو الإعجازُ إذاً؟. وأينَ حالاتِ الجُنُونِ التي نَعتَ الرُسُلَ الكِرَامَ بِهاَ حتى في هذهِ القصة؟. وهي آيةٌ من ضمنِ آياتٍ لا حصرَ لها، ولا يَقوى العِلمُ على معرفةِ أسرَارِهَا. لأنها سبقت بالإحاطَةِ عُلومَ البشرِ بأثرِهَا. لتقُودَ أصحابَ العِلم الحقيقيُّ إلى الشهَادَةِ بتصريفِ الله تعالى في كونهِ كيفَ يشاءُ. وليس بعلمِ ما يُبنىَ عَلَىَ غِشٍ وتزيف.

على كُلِ حال: لو أنَّ كُلَ إنسانٍ وجهَ النظرَ الصائِبَ إلى ما هو نَافِعٌ ومُفيد لبنيّ البشر بكُلِ شفافيةٍ لكانَ أفضل. إذ إنِ الخِلافَ والشِقاقَ هو بُعدٌ عن الهدفِ المنشودِ من وراءِ نشرِ أيّ فِكرٍ، أو أيّ دَعوةٍ مهما كانت. وعلى المقابلِ لا ينبغي أن نُسفِهَ من الأديانِ في مَعرِضِ مُنجِزاتِ العلم على عَرَسَاتِ الحقيقة. فقد يكُونُ المنهجُ صحيحٌ، والفِكرُ سديدٌ، لكن بالعصبيةِ لِنَزعَةٍ ما، تنهَارُ كُلُ القيم، ويُصبِحُ الفِكرُ الصحيحُ غيرَ مرغُوبٍ فيهِ. فما بالُنا بالفكرةِ التيّ تُبنى على خِلافٍ وتكذِيبٍ وجِدالٍ بالباطلِ من أجلِ هَدفٍ دفينٍ؟..

يقولُ الفيلسوف "جون لوك": إن وجود اللهِ يحتاجُ إلى بُرهانٍ عقليٌّ، والعقلُ قاصرٌ عن إدراكِ ذلك.. ومن ثمَ نحتَاجُ برهانُ عقلٍ غيرَ عُقُولِنَا القاصرَةُ عن الإدراكِ وذلِك لسببين:

السبب الأول– الجهلُ بماهيَّتِهِ، وقُصُوُرِ العقلِ عن إدراكِه. فلو كانت معرِفَةُ اللهِ فطريةٌ لتمت بالعقل.

السبب الثاني– وجودِ الملحدينَ أنَفَسهِمِ. الذين لو تمكنوا من معرفةَ اللهِ بفطرتِهم لصاروا مؤمنين بهِ بلا شك. ولهذيّنِ السَبَبَيّنِ يُنكرُ "لوك" أن تكونَ معرفةَ الله فِطريَّة. ومن ثم تحتاجُ إلى برهانٍ عقليّ. غيرَ أنَّ عُقولنا قاصرٌ كما قالَ عن إدراكِها والإحاطةُ بها.[٤]

هذا بالطبعِ كلامٌ مبزولٌ في العقلِ غيرُ مقبولٌ في الفكرِ. وقد جانبَ الصوابُ من وجهَين:

الوجه الأول_ أنَّ إحاطةَ عُقولِناَ بالجلالِ الإلهيُّ لا تكون إحاطةُ حدودٍ لجسم، حيث لا زمان ولا مكان يَحُدُ خَوَاطِرَ العقل في الكون السابح في ملكوته؛ فما بالُنا بجلال اللهِ؟ فهو سبحانه: (لا يُحْدْ؛ ولا يُجسدْ. ولا يلحقهُ الزمانْ؛ ولا يلحق بهِ المكانْ. ولا يحُلُ فيهِ شيءْ؛ ولا يحُلُ هو فِي شيءْ. ولا يقعُ عليهِ سمُ شيءْ؛ ولا يقعُ سمُهُ على شيءٍ غيرهْ. لا من وقتٍ كانْ؛ ولا إلى وقتٍ يكونْ. ولا إلى شيءٍ قامْ؛ ولا إلى شيءٍ يقوُمْ. ولا إلى شيءٍ أستندْ؛ ولا إلى شيءٍ أستكنْ. وأصحُ ما يُقالُ عنهُ أنهُ الوجودُ المطلقْ. (**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**[٥]). فالوجهُ الأولُ من كلام "لُك" مردودْ – إذ أين نحن والعالمين من سرعة الكون في التوِ المغايرَ للحظّةِ الماضيةِ داخلَ تقديره تعالى؛ فما بالُنَا بجلالِ هو؟..

الوجه الثاني_ أما قضيةُ أنَّ هناك ملحدين، فهي لا تنفي وجودَ اللهِ أصلاً. بل هي شَاهدُ إثباتٍ على وجُودهِ تعالى (إذ إن نفي النفي إثبات) فإلَّمْ يكنْ اللهَ موجُود؛ فلماذا جعلُوهُ قَضيّة؟. (هل نَنفي لا شيءٍ من أجلِ لا شيء؟). إن "جون لُك" كغيرهِ ممن يُعَلُّوُاُ صَرَخَاتِ العقلانيةِ بلا عَقلاَنية. ووافقهم على نُزُوعِهِ من يُرحبُ بفكرةٍ مساندةٍ للمصالحِ المآديَّة ليس إلا.

يقول المترجم لكتاب "العلم والدين في الفلسفة المعاصرة": في القرنِ التاسعِ عشر صارَ العالمُ في طريقٍ معادياً للدين. وانتشرت في أوُرُوُبا موجةٌ شديدةٌ من الإلحادِ باسم العلّم. ذلك أن العلّمَ كان يُنادي بالحتميةِ التي تعني "أنهُ إذا توافرت الشرُوط والأسباب تحتم وُقُعُ النتائج". وبُناءً على ذلكَ يكتفي العلم بنفسهِ ولا حاجةَ بهِ إلى علةٍ أُخرى غير وُجودِ المآدةِ وحركتِها وتطَوُّرِها وسيّرِهَا في طريقِها المحتوم. ولكن مع صُدُور القرنِ العشرين بدءَ العلمُ يرى أنَّ الحتميةَ غيرَ ضروريةَ، وأنَّ القانونَ الذي يحكُمُ العالم هو قانون الإحتمالآت، وبذلك أنفسخ المجالُ للقولِ بقوةٍ عُليَّاَ تُسيّرُ العالم خارجةً عن نفسهِ.[٦]

ويقول الدكتور "أميل بُوتروا" في كتاب "الله يَتَجَلّىَ في عصرِ العلم": من الأسئلةِ الكبيرةِ المهمةِ في حياتِنا، السؤالُ بـ: هل يُوجد إلهٌ عُلّوِيٌّ هو خالقُ هذا الكون أم لا؟.. إذْ

لا يُمكِنُناَ أن نُثبتَ وجُودَ اللهِ عن طريقِ الإلّتجاءِ إلى المآديَّةِ وحَدَهَا. فلمْ يَقُلْ أحدٌ أن اللهَ مآدةْ!، حتى نستطيعُ أن نصلَ إليهِ بالطريقةِ المآديَّةْ، ولكِننا نستطيعُ أن نتحقق من وُجُودِ الله بإستخدامِ العقلِ والإستنباط فيما نتعلمهُ ونراه.

فالمنطق الذي نستطيعُ أن نأخذَ بهِ، والذي لا يُمكنُ أن يُتَطرّقَ إليهِ الشك، يؤكِدُ على القولِ: "بأنهُ ليس هناكَ شيءٌ مآديٌّ يستطيعُ أن يخلُقَ نفسهُ، فلا نقول أن الكون خلق نفسه، إذ لو قُلّنا ذلك نكونُ قد وصفنا الكون بالألوهية". ومعنى ذلك أن نعترف بِوجُوُدِ إلهٍ لكننا نعتبرهُ إلهاً مآديَّاً ورُوحيَّاً في آنٍ واحد، (قد يكونُ بسببَ هذا المعتقد بُنِيَّ على زعمُ النصارى من أن عيسى بن الله).

ثم يقول: أنا أُفضِّلُ أن أُؤمنَ بإلهٍ غيرَ مآديٌّ؛ خالقُ هذا الكون؛ وتظهر فيه آياتهُ، وتتجلى فيهِ أياديهِ؛ دونَ أن يكونَ هذا الكونُ كُفواً له. كما أن التطور الذي تَكشِفُ عنهُ العلومُ في هذا الكون هو ذاتهُ شاهداً على وجودِ الله تعالى. فمن صُورةٍ بسيطةٍ وليس بينها فرآغٌ نشأت الملايينُ من الكواكبِ والنجوم والعوالِمِ المختلفة.. لها صوراً معينةً، وأعمارً محدودةً، وتخضعُ لقوانينَ ثابتةً يعجزُ العقلُ البشريُّ عنها وعن الإحاطةِ بمدى إبداعِها والسرُ من ورآءِها.

فقدْ حملتْ كُلُ ذرةٍ من ذراتِ هذا الكونْ، بل كُلُ ما دونَ الذرةِ مما لا يُدرِكهُ الحِس ولا يتصورهُ العقلُ في قوانِينِها وسُنَتِها، وما ينبغي لها أن تقومَ بهِ أو تخضعَ لهُ. وهُناك ما هو أشدُ من ذلكَ إعجازاً، وأكثرُ دلالةً على وُجُودِ الله. فمن تلك الجزيئات البسيطةُ لن تنشأ النجومُ والكواكِبُ فحسبْ، بل نشأَ كذلكَ أنواعٌ تبحثُ عن أسرارِ الحياةِ والوُجُود. إذاً فإنَّ كُلُ ذرةٍ من ذراتِ الكونِ تشهدُ بوجودِ الله وجلالهِ!، وتدُلُ على وحدآنيتهِ حتى دونَ حاجةٍ إلى الإستدلالِ بأنَّ الأشياءَ المآديَّةَ عاجزةً عن خلقِ نفسِها بنفسِهاَ.(٧)

يقول الدكتور "مصطفى محمود": تعلمتُ من كُتبِ الطبِ أنَّ النظرةَ العلميةَ لا تبني الحقائقَ إلا على إقامةِ إختباراتٍ من الواقعِ والشواهدِ الحسيةِ، التي يكونُ بعدها العلم. فالعلمُ يبدأُ من المحسوسِ والمنظورِ والملموس. إذ إنهُ عمليةُ جمعِ شواهدَ وإستخدامُ قوَانين "وما لا يقعُ تحت الحسِ فهو في النظرةِ العلميةِ غيرُ موجُود" لأنَّ الغيبَ لا حسابَ لهُ في حُكمِ العقلِ العلميُّ.

ومن هذا العقلُ المآديُّ البحثُ بدأتُ رحلتي في عالمِ العقيدةِ. وبالرغمِ من هذهِ الأرضيةِ المآديَّةْ، ومن هذا الإنطلاقُ من المحسوساتِ التي تُنكِرُ (في عُقُولِناَ) كُلَ ما هو غيب، فإنني لم أستَطِع أن أنفيَّ أو أستبعدَ القوةَ الإلهية (التي يُبرهِنُ عليها العقل من ورآءِ الأشياءِ المآديةِ التي تهتفُ رغماً عن الماديينَ بوُجُودِ مُبدِعُها). حيثُ كان يُقدِمُ العلّمَ صورةً بالغةَ الإحكامِ والإنضباطِ في كُلِ شيءٍ، من ورقةِ الشجرِ، إلى جَنَاحِ الفرآشَةِ، إلى ذرةِ الرّمَلِ. الكُلُ في تناسُقٍ وجمالٍ بديعْ.

الكونُ كلهُ مبنيٌّ وِفقَ هندسةٍ وقوآنينَ دقيقةْ، وكُلُ شيءٍ يتحركُ بحسابٍ من الذرةِ المتناهيةِ في الصغرِ، إلى الفلكِ العظيمِ، إلى الشمس وكوآكِبِها إلى المجرةِ الهائلةِ التي تحوي أكثرَ من ألفِ مليونِ شمسٍ، إلى السماءِ المترآميَّةِ التي يقولُ لنا الفلكُ أنَّ فيها أكثرَ من ألفِ مليونِ مجرة.

في كُلِ هذا الوجُودِ اللامتناهي من أصغرِ إلكترونٍ إلى أعظمِ جُرمٍ سماوي كُنتُ أراهُ أشبهُ بمعزوفةٍ متناسقةِ الأنغام، منضبطةِ التوزيع، كُلُ حركةٍ فيها بمقدار، وكأنه البدن المتكامِلُ الذي فيهِ رُوح. وفى هذهِ المرحلةَ تَصورتُ أن اللهَ هو الطاقةُ الباطنةُ في الكون؛ والتي تُنظمُهُ في منظُومَاتٍ جميلةٍ من أحياءٍ وجمادات وأرضٍ وسماوات. هو الحيويةُ الخالقةُ الباطنةُ في كُلِ شيءٍ. أو بعبارةِ القديس "توماس" هو "الفِعلُ الخالصُ الذي ظلَ يتحولُ في الميّكرُوب حتى أصبحَ إنساناً.. وسيظلُ يتحولُ إلى ما لا نهاية".(٨)

وأما عن الدين وأهمِيَّتَهُ في حياةِ البشر؛ فيَقُول عنهُ الدكتُور ماهر أحمد الصُوفيُّ: إنَّ الدينَ لم يكن لازمةً من لوازمِ الجماعاتِ البشَرِيَّةِ على أنهُ مصلحةٌ وطنيةٌ أو حاجةٌ نوعيةٌ. بل لأنَّ الدينَ قد وُجِدَ قبلَ أن تُوجَدَ الأوطان. ولأنَّ الحاجةَ النوعِيَّةَ تُحقِقُ أغراضِهَاَ في زَمنٍ ما، ولَكِن تتوَافَرُ أسبَابُهَا في كُلِ زمانٍ. ولا يزالُ الإنسانُ بعداً عن تحقيقِ أغراضِهاَ، وتوافرِ وسَائِلِهاَ يَكُونُ في الحاجَةِ إلى الدين. فالإنسانُ يتعلّقُ من النوعِ بالحياةِ، لكن يتعلقُ من الدينِ بِمعنَى الحياة.(٩)

ويَنبَغِي أن يُلاحظَ في هذا: أنَّ الجماعاتِ البشَرِيَّةِ تَعِيشُ عُمرَ إنسانٍ واحدٍ، ولا تنحَصِرُ في طبقةٍ واحدةٍ. فالعقيدةُ التي تصلُح لعشرةِ أجيالٍ مثلاً يَشتَرِكُ فيّهاَ عشرةُ أجيال،

يختلفونَ في كَثِيرٍ من الأحوالِ والعادآتِ. والعقيدةُ التي يزيدُ بِهاَ الملايينُ يشتَرِكُ فيّهاَ الخاصَّةُ والعامة، والأعلِيَّاءُ والأدنِيَّاءُ، ولا تُصاغُ مِنها نسخةٌ مستقلةٌ لكلِ طبقةٍ أو لكلِ جماعةٍ على حِدَى. بل الذي يُطلبُ من العقيدةِ الصالحةِ، أن تَصلُّحَ لِكُلِ هؤُلآءِ مُجتَمعِين.(١٠)

إن الغايَّةُ من ورآءِ العُبُودِيَّةِ واحدة، وهي البحثُ عن إلهٍ يستحقُ التقديسِ ويصلُحُ لإقامةِ الصلواتِ والمناجاة، و يُنفِقُ على الخلقِ من كُنُوزِ الحُبِ والعطاءِ والأمان والراحةُ الملحُ في طلبِ الوصولِ إليها صُنُوفُ البشر. لقد أقامَ أهلُ العلمِ التجريبيُّ والفلاسفةُ لأنفُسِهم صرحاً بنزعاتِهم الفكريةِ الصارخةِ في وجَهِ التخبُطِ العقديُّ المنحط. وبنوّ مسرحاً للفكرِ أمتدَ دَوآمُهُ في كُلِ عُصُورِهم؛ وزاَوَلُوُا فيه نَزَعَآتِهم وإعتِقَادَآتِهم؛ ظانينَ بِذلِكَ أنهم إنفَصلُوا عن الزيفِ إلى الحقيقةِ. على ما يَبدُوُا أنهُم كانوُا يُحاكُونَ ما عليهِ مُجتمَعآتِهم لكن بطريقةٍ مُنَمَقةٍ يَعلُوهَاَ كَثِيرٌ من التعقيدِ غيرِ المنتَظِم. حتى في كِتابَآتِهم.

وكمَا هو واضحٌ من حالِ بعضِ العُقلآءِ في أوروبا وعلمائِهاَ، أنهم رفضوا الخُضُوعَ للكتاباتِ التي حُرِفت في التوراةِ والإنجيل، وفضلواُ الإلحادَ على كلماتِهاَ التي تَخدِمُ الهوى والغرضِ الشخصيُّ وتمجيدِ الشهوةِ على حسابِ السُمُوِ الروحيُّ. ورأينا كيف ذكر ذلك الدكتور كارل وهو يتحدثُ عن طُغيانِ رِجالِ الكنيسةِ، وحجم المأساةِ التي وقعَ فيها العالم الأُورُوبيُّ بأنها كانت "عُصورٍ مُظلِمَةٍ".

لابدَ من الرُجُوعِ إلى الحقِ ولابدَ وأن يبحثَ كُلَ عاقلٍ عن الدين الصحيح في النصوصِ الصحيحةِ. وأن لا يُترجم أو يُفسر أو يُوجهُ أو يشرح إنسانٍ ما لفكرةٍ جالت في خاطرةِ على أنها الحقُ المبين. بل ما ينبغي فِعلهُ في فِهمِ الخِطابِ الدينيُّ أن نرى النصُوصِ المساقةِ في أيّ دين أو عقيدةٍ مَذهبيةٍ، هل ما جاءَ فيها يتطابقُ والحكمةُ العقليَّةُ الإنسانيَّةُ العامةُ أم يُنافِيها ويُنفِرُها.

وينبغي كذلك أن نقرأ في نُصوصِ كُلِ الأديانِ دونَ تقيدٍ أو خوفٍ لنرى أيُها أحقُ بالتصديقِ والإتّبَاعِ، وهل هذهِ النُصُوصِ تتماشى مع تَطوُراتِ المعارفِ الإنسانيةِ أم لا. فمن البديهيُّ أن يكونَ الدينُ الصحيحُ أبلغُ وأوقعُ في الأثرِ الفكريُّ من أيّ حكمةٍ علميةٍ عقليةٍ مهما

كانت، بل يكونُ مَنبَعُها في أيّ عقلٍ؛ وفي أي زمانٍ؛ وفي أيّ مكان. ويكون نُورُهَاَ مُطلٌ من هذهِ النصوص، ويكون لديها ما هوا أسبقُ من مَرآميّ العقلُ في أعماقِ المستقبلِ البعيد..

ثانياً: التصحيفِ والمُغالطاتِ (في عُمرِ الكون).

لقد انصرمت عُصُورٍ عدةٍ قبل أن يبدأ كوكبُ الأرض. ولسوفَ تمضي عصورٌ أُخرى في مَجراها قبلَ أن يتعرضَ كوكبُ الأرض للتدمير. وهُناك ضرورةً لإجراءِ تمييزٍ بينَ عُمرِ كوكبِ؛ الأرضِ وعُمرِ الكون. إن الفَطرَةَ الزمنيةَ الضخمةَ الفاصلةَ بين بدآيَّةِ الكونِ وعصرِنَا تصلُ إلى "الثُلُثَينِ" قبل ظُهُورِ كوكبِ الأرضِ للوُجُود. كما أنَّ هُناكَ بعضَ النجومِ والمنظوماتِ الكونيةِ أصغرَ من مجموعتِنا الشمسيةَ بلايينَ السنين في حينِ أنَّ البعضَ الأخرَ أكبرُ ببلايينِ السنين. ولكنَّ الإصحاحَ الأول؛ بسفرِ التكوين، يُشيرُ في آياتهِ الأولى إلى أنَّ خلقَ الكونِ والأرضِ قد حدثَ في اليومِ نفسِهِ.. (١١)

هذا في حينِ تميلُ العقائدُ الهُندُوسيَّةَ والبوذيَّةَ واليابانيَّةَ إلى عدمِ المزجِ بينَ الحدثينِ. أما بالنسبةِ لنا كبشر، فقد جِئنا متأخرين. وظهرنا في اللحظةِ الأخيرةِ من لحظاتِ الزمن الكوني. إنَّ تاريخ الكونِ حتى الآن كان يمثلُ ٩٩/٩٩٨٪ قبلَ وُصُولِ نوعِنا البشريُّ إلى خشبةِ المسرح. وفي إطارِ هذا الإكتساحِ الضخمِ للدهُورِ، لم نكن نَقدِرُ على أن نأخُذَ على عاتِقِنا أيَّ مسؤولياتٍ خاصةٍ بكوكبِنا، أو بحياتِنا، أو بأي شيءٍ أخر، فنحنُ وقتها لم نكن موجُوديّن. (١٢)

ويقول: برغمِ التأكيداتِ الواثقةِ التي يُقدِمُها رجالُ اللاهُوتِ المتمسكونَ بالحرفيةِ الشديدةِ بأن عالماً عتيقاً كهذا لا يمكنُ معرفتهُ إلا لأهلِ الدين في التوصُلّ إلى المعلوماتِ الخاصةِ بمدى قدمهِ. وبطبيعةِ الحال، لا تُثار مثلَ هذهِ المشكلة بالنسبةِ للعديد من المتدينين الذين يتعاملون مع – الكتاب المقدس– والقرآن – كأدلةٍ تاريخيةٍ وأخلاقيةٍ فحسب، وإنما كأدبياتٍ عظيمة كذلك (١٣). وعِندَ قولهِ: ولكن الإصحاحَ الأولُ بسفرِ التكوين، يُشيرُ في آياتهِ الأُولى إلى أنَّ خلقَ الكونِ والأرضِ قد حدثَ في اليوم نفسه (١٤).

ونقول: أنَّ الكتابَ المقدس لم يقل ذلك. ولا القرآنِ الكريمِ حتى. أما عن الكتابِ المقدس في صفرِ التكوينِ الإصحاحُ الأول – الذي حددهُ ساغان بنفسهِ – قد قال: (.. **وقال الله ليكن نورً فكان نور. ورأى الله النورَ أنهُ حسن. وفصل الله بين النور والظلمة. ودعا الله النور نهاراً والظلمة دعاها ليلاً. وكان مساء وصباح يوماً واحداً * وقال الله ليكن جلد في وسط المياه. ولين فاصلاً بين مياه ومياه. فعمل الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد. وكان كذلك. ودعا الله الجلد سماء. وكان صباح يوماً ثانياً * وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد ولتظهر اليابسة. وكان كذلك. ودعا الله اليابسة أرضاً.. وكان مساء وصباح يوماً ثالثاً**[١٥]). فلم تقل التوراة ما قالهُ ساغان وهو واضحٌ كما تقدم.

وأما عن القرآن الكريم فقد قال الله تعالى فيه: (**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**[١٦]). وهذا هو القرآنُ لم يقُل ذلك. الملاحظ بعد العرض المتقدم أمرٌ من أثنين:

أولاً_ أنه لم يرد أبداً في التوراةِ ولا في القرآنِ أنَّ السمواتِ والأرضِ كانتَ في يومٍ واحدٍ من حيثُ التَّشَكُلِ وإقامةِ القوانينَ فيهِماَ؛ أبداً لم يحدث. بل كان نورَ اللهِ أولاً وَتَّشَكَلَ منهُ الليلَ والنهارَ والتواقيت؛ وبدءَ العدُ باليومِ الأول، ثم كانت السمواتِ وَتَّشَكُلِهاَ وقوانِينِها في اليوم الثاني، ثم كانت الأرضُ وعُشبُهاَ وجِبَالُهاَ وأنهارُهاَ.. في يومٍ ثالثٍ. فمن أيّنَ لهُ هذا الكلام ؟. وها هي التوراة ومعها القرآن قد أَدلَّوُ بِشهَادتَيَّهِمَاَ في هذهِ المسألة..

ثانياً_ أو إنه كان يقصد من وراء كلامه معناً بعيد؛ إذ يقصد إثارة حافزة المسلمين والمسيحين من أنه لا يقوى أحد من علماء الإسلام أو رجال الدين المسيحي على القول بما يفوق عد أو وتوقع الفيزياء الفلكية. فيكون هنا ردٌ أخر بمدلولٍ أخر، وهو أن الله حد في القرآن كيفية التعرف على العمر الصحيح للكون في دلالات وإشارات في القران ربما لم يتعرض لها بالاستنباط أحد لِأُحلِقَ حوله بخاطرتي اليوم وأقول للجميع: فل نعيد قرآءةَ وتحليلَ النصوصِ التاليةِ.. ولكن بعد عرض بعض مصطلحات الفيزياء..

*ـ يستندُ علماء الفيزياءُ في العدِ الزمنيُّ على سُرعةِ الجُسيم (إلّام تكن هناك سرعةٌ أعلى) وضربِها في المسافةِ والزمن (سرعةِ الضوءِ في الثانيةِ الواحدةِ ليكن بمتوسط ٣٠٠،٠٠٠ كم/ الثانية [١٧]) وهو العد الأشهر والمتفق عليه في ممراتِ الضوء المسترسل من مكانٍ إلى مكان أخر سواء أكان بالليزر أو بأضوء الشموس..

*ـ فحددواُ تحديداً مناسباً لعدِ دورانِ الأرضِ؛ وقاسواُ عليهِ تَوَاقِيتَ الأجرامِ والمجراتِ والكون ثم عادوا منه إلى الوراء حتى في قياس فوتونات الضوء ليحددوا عمر الكون بقياس السرعات المختلفة للضوء ليجعلوا له بداية تسمى "الإنفجار الكبير" إن صح حدوثه..

*ـ لا أختلف معهم فيما يقولون من تقارير حول سرعة الضوء. ولكن أطلبُ تعديلاً بسيطاً في العودة إلى الوراء.. الآ وهو: التعرُّفِ على كيفيةِ عدِ اللهِ تعالى لأيَّامِ كونه التي وضعَ لنا في قرآنه لها علامات.. لنقيسَ عَدنَا عليّهَا. ولكن أولاً نتعرف على هذه الآيات:

*ـ قال الله تعالى: (**هوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** [١٨]). من المعلومُ أن معرفةَ البشرِ بعدِ الحسابِ ومعرفةِ القياساتِ قد وصلَ إلى غايةِ الدقةِ والإحكامِ لدرجةِ أننا نتعاملُ بساعاتٍ (مغنطيسيةٍ وبيولوجيةٍ وصخرية ونباتية وذريةٍ .. [١٩]) إلى غيرِ ذلكَ من الساعاتِ المختلفةِ التي يصعبُ حصرها. وزاد العدُ دقةً لما حسبناَ سُرعةَ الزمنِ بسرعةِ الضوءْ. وهذا آخرُ ما توصلَ إليه الإبدآعُ البشريُّ؛ وسوف نحتاجهُ لاحقاً.. أعني من بينِ كلِ العدادآتِ في الكونِ سنلجأُ إلى حسابِ سُرعةِ ضوءِ الشمسِ أو القمرْ؛ لتحديد الثواني والدقائقِ والساعات.. فل نتعرفُ أولاً على الآياتِ الكريماتُ ثم نُتبعُ الكلامَ بالتوضيحِ والبيانْ

*ـ (.. **وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ**.. [٢٠]) وقال: (.. **وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ**.. [٢١]). لمح البصر في الآيتين هو سرعة حركة البصر (الضوء) وقد قيست خطفة البصر بعد اتفاقات علماء الفلك بمعدل ٣٠٠،٠٠٠ كم/ الثانية الواحدة تقل عن ذلك أو لا تقل سيكون الفارق في العد قريب..

*ــ وقال (**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**.. [٢٢]) ذكر الله تعالى هنا أداة التشبيه (ك) وذكر المشبه به ساعة زمنية من عد البشر على نهارٍ بطول عمر الزمن فلماذا؟.. ولماذا تكلم عن نهار ولم يتكلم عن يومٍ؟..

*ــ وقال كذلك: (**تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**..[٢٣]). من المعلوم هنا أنَّ الله تعالى حددَ حياةَ شيءٍ واحدٍ بمقدار يوم بطول خمسينَ ألفَ سنةٍ من عدناَ، حينماَ ذكرَ حَرْفِ الجرْ (في) للدلالةِ على عروجِ الملآئكة وأروآحِ الكائنات في يومٍ ليس لهُ تكرارٍ.. إذاً: نستنبطُ من الآيات الكريماتِ ما هو أتٍ:

أولاًــ هناك عدٌ في القرآن الكريم لمحِ البصرِ الذي يقاسُ بسرعة الضوءِ (٣٠٠،٠٠٠ كم/ الثانية. أو ٢٩٩،٧٩٢،٤٥٨ كم / الثانية)..

ثانياًــ وهناك ساعة زمنية تقاس بالدقائقِ تُشبِهُ عمرِ دنيا البشر بساعةٍ من عمرِ نهارٍ في يومٍ واحدٍ..

ثالثاًــ وهناك عد لنوعٍ من الأيامِ طُوُلُهُ (٥٠،٠٠٠ خمسينَ ألفَ سنةٍ) لطول اليوم الواحد..

فلندمج التوقيت، ونضربها في العداداتِ السابقة هكذا:

*ــ لنقُول: إذا كانت سرعة الضوء بـ (٣٠٠،٠٠٠ كم / الثانية الواحدة) فسوف نضربها في (٦٠ دقيقة أرضية) ثم نضربها في ساعةٍ أرضيةٍ. لكن لا نضربها في يوم أرضي بل نضربها في عددِ يوم مقداره: (٥٠،٠٠٠ ألفَ سنةٍ أرضيةٍ).. لنبدأ في العرض مع إختلآف مقايس السرعات التي أختلف عليها العلماء لسرعة الضوء، نقول:

*ــ لو ضربنا (٢٩٩،٧٩٢،٤٥٨ كم/ الثانية [٢٤]) في (٦٠) في (٥٠،٠٠٠) سيكون الناتج (٨،٩٩٣٧٧٣٧٤٠٠ E١٤) ويكون عمر الكون..

*ـ لو ضربنا (٢٩٩،٩١٠ كم / ثانية[٢٥]) في (٦٠) في (٥٠،٠٠٠) سيكون الناتج (٨،٩٩٧٣ E١١) هو العمر الإجمالي للكون..

*ـ لكن لو ضربنا (٣٠٠،٠٠٠[٢٦]) في (٦٠) في (٥٠،٠٠٠) سيكون الناتج (٩،E١١) يكون عمر الكون الإجمالي..

*ـ ولو ضربنا (٣٠١،٠٠٠ كم/ثانية[٢٧]) في (٦٠) في (٥٠،٠٠٠) سيكون الناتج (٩،٠٣E١١) هو عمر الكون الإجمالي.. وهكذا فإن كل النتائج الفيزيائية داخل إطار حدود الكون مهما برع الإنسان. فبراعة الإنسان محسوبة على عد الله ومهما حاولنا أن نتفاخر ونتكبر فلا ننسى أن واضع العقل لنا وملهمنا العلم هو الله شأنا أم أبينا..

يقول الإمام أنس رضي الله عنه: خطبَ رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم خطبةً طويلةً جمعَ فيها ما كانَ وما هوَ كائنٌ وما سَيكُونُ إلى يَومِ القيَّامَةِ. جاءَ فيها عن عُمرِ الأرض، ووقتِ زوالِ ظِلِهاَ بالقيَّامَةِ بيانُهُ.. ذكرَ الإمامُ أنسٍ بن مالكٍ رضيّ اللهُ عنهُ حيثٌ قال فيهِ: "خطبَناَ رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بعدَ العصرِ وقد كادَتِ الشَّمسُ تغيبُ فقالَ: والَّذي نفسيّ بيدِه ما بقِيَ من دُنيَّاكُم إلَّا كما بقيَّ من يومِكُم هذا فيّمَا مضَى مِنهُ[٢٨]"..

في هذا الحديثُ رمىَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إلى القولِ والتمثيل بالشاهدِ البَعيّدِ، فَتَوهَم المفسِرُ لِكلاَمِهِ فِيما بَعدُ، أنَّهُ يَقصِدُ المعِنى القريّب. إذ يَقصِدُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم أنهُ لو كان عمر الشمسِ هو يومُهُم الذي أقيمت خُطبَتَهُ فيهِ. فيّكُونُ المتبقيّ من عُمرِهَا كالمتَبَقيّ من هذا اليومِ حالةَ اقترآبِهِ على نِهَآيَتِهِ.. إذ اللآئِقُ أنَّ رسولَ اللهِ كانَ يَضرِبُ ما تَبقَى من عُمرِ الدُنيَّا على الأرضِ بِعُمرِ الأرضِ نَفسِهَا من بَابِ تَقريّبِ الصُورَةِ لأَفهَامِ السامِعيّن، وإلاَ يَكُونُ كَلاَمُهُ من بَابِ المغالَطَةِ (وحشَاهُ ذلك) إذ؛ كيّفَ لهُ أن يَقِيس شيءٌ على شيءٍ مُختَلِفٍ عنهُ ومغايّراً لهُ في العُمرِ والهيّئَةِ؟.

ولو قالَ القارئُ الكَريّم: وهل كانَ رسولُ اللهِ عاجِزاً عن قَولِ مِثلِ ما تَقول؟. يَكُونُ الجوابُ: بالطبعِ (لا)، ولكن لِعلمِ رسولِ اللهِ أنَّ أصحابَهُ يَعلمُونَ مُرَادَهُ من كلاَمِهِ،

لذلك سَكَتَ عن الشَرحِ. أو تَكُونُ القَضَايَّا التيّ أُمِرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بِالسكُوتِ عنهَا حتى يَحِيّنُ أَوآنُهَا. وليَّكُونُ البحثُ والأثبَاتُ لاحِقاً في القُرُونِ التي يُتَطوَرُ بِهَا العِلم بأدواتِهِ ومَقَايِيسِهِ بِكُلِ أنواعِهَا.. وقِس على ذلِكَ أقوَالُ القرآنِ والأحادِيّثِ التيّ تُعالِجُ قَضايَّا مَصِيرِيَّةَ مُستقبَلِيَّةَ، فإنَّ اللُّغَةَ الرَمزِيَّةَ فِيهَا واضِحةٌ ولكِن ذاتِ دِلالآتٍ على المعانيَّ المتقَلِبَةَ فيّ كُلِ العُصُورِ بعدَ ذلك..

تقولُ الإدارَةُ العامَةُ للأوقافِ المِصريَّةُ في الجوابِ على أنَّ تَحدِيّدَ عُمرِ الكونِ بألآفِ السنِيّنِ قَولٌ غيرُ صحيحٌ ولم يَرِد في الإسلامِ، وأنَّهُ مأخُوذٌ من الإسرآئِيلِيَّاتِ التيّ كانَ يَبُثُهَاَ اليّهُودِ والفُرسِ في المسلِميّن وقتَ دُخُولِهِمُ في الإسلآمِ بَعدَ مَوتِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ومعَ مُرُورِ الزَمَانِ أندَست في كِتَابَاتِ التَاريّخِ الإسلآمِيُّ ونُقِلت على أنَهَاَ مَرفُوعَةٌ إلى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وقد أغترَ بِهَا فِيمَاَ بَعدُ من لا يَنظُرُونَ في نَقدِ الروآيّاتِ سِوى من جِهَةِ أسَانِيدِهَا. ووَصَلَ الحالُ بِبعَضِ الكُتَابِ المسلِمِيّنَ أنَهُم استَنبَطُوا ما بَقِيَّ من عُمرِ الدُنيَّا على ضَوئِهاَ. وللجَلاَلِ السِيُّوطِيُّ في التَحذِيّرِ من هذاَ رِسَالَةٌ، ولكِن قَد هَدَمَهَاَ عليّهِ الزمَان، كما هَدَمَ أمثَالَهَا.. وذلكَ بِمَا بُثَ مَع الإسرآئِيلِيَّاتِ في الكيّدِ للإسلام..[٢٩]

ثالثاً: أشكالِ الحياةِ في الفضاء.

يقول كارل ساغان: تُوجد في الظلامِ الدامسِ بينَ النجوم غُيُوُمٌ من الغازِ والغُبارِ والمادةِ العُضويَّة، وقد أمكنَ كشفُ عشراتِ الأنواعِ المختلفةِ من الجُزيئآتِ العُضويَّةِ بواسطةِ التِلسكُوباتِ اللاسلكِيَّة. إنَّ غزارةَ هذهِ الجُزيئآتِ تُشِيرُ إلى وُجُودِ مادةِ الحياةِ في كُلِ مكان. وربُما يكُونُ تطورِ الحياةِ مع مُرُورِ الزمن كافٍ لضرورةِ الكواكبِ الموجُودَةِ في مَجرةِ دربِ اللبانة. بينما يُمكِنُ أن تنشأَ وتنقرِضَ في بعضِهاَ الآخرِ، أو قد لا تتطورُ هذهِ الحياةِ إلى أكثرِ من أشكالِهاَ البسيطة. وفي المقابِلِ يُمكِنُ أن تنشأَ وتتطوّرَ حياةٍ ذكيةٍ، وحضاراتٍ أكثرَ تقدماً من حضارَتِناَ في جُزءٍ صغيرٍ من العالم.[٣٠]

في عام ١٩٩٤م كتبَ أستاذُ اللاهوتِ "و. جاري كرامبتون" في مجلةِ "كرستيانن نيوز" ما يلي: يتناولُ الكتابُ المقدسِ إما صراحةً أو ضِمنياً كُلُ ناحيةٍ من نواحي الحياةِ في الكَون؛ وهو لا يدعُنا أبداً بلا إجابةٍ. ولا يُؤكِدُ الكتابُ المقدسِ في أي موضوعٍ منهُ أو ينفي وُجُودَ حياةٍ عاقلةٍ خارجَ كوكبِ الأرض.

إنَّ عُقُولَ العُلماءِ مُنفتِحةٌ فيما يتعلقُ باستكشافِ عوالمَ جديدةَ. ولو كُنا نَعلَّمُ مسبقاً ماذا عسانا أن نجد، فلن تكونَ هناكَ ضرورةٌ للتحرك. ففي البعثاتِ المستقبليَّةِ المتجِهَةُ إلى المريخِ أو إلى العوالِمِ الأُخرى الفاتنةُ في برزخِ غَابَتِنا الكونيَّةَ، من الممكِنِ الوُقُوعُ فيها على مُفاجَئاتٍ، وربُما على قَدرٍ من الأساطِيرِ التي نُسمَعُ عنها، بل إن هذهِ الأمورُ قد تَكُونُ مُحتَملَة. ولكِنا نحنُ البشر نَتسِمُ بموهبةٍ في خِدَاعِ أنفُسِناَ. فيَجِبُ أن يكُونَ الشكُ أحدُ مُكونَاتِ حَقِيبَةِ مُعداتِنَاَ كَمُستَكشِفيّن؛ وإلا ضَلَلّنَاَ الطريقُ إلى ما يكفيّ من العجَائِبِ الكَونيَّةِ، ولا حاجَةَ بِنا إلى إختِراعِهاَ. (٣١)

يقول كتابُ "مفتاحُ الشُهُودُ في مَظاهِرِ الوُجود": دخل رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم علي أصحابهِ ذاتَ يومٍ وهم يتفكَرُون فقال: "مَالَكُم لا تَتكَلّمُون؟" فقالوا: نَتفَكرُ في خلقِ الله، فقال: "كذلك أفعلوا: تَفكَرواُ في خَلقِهِ ولا تفكروا فيهِ، فإنَّ في هذا المغربِ أرضٌ بيضاءٌ، نُوُرُهاَ بَيَّاضُهاَ. مَسِيرةُ الشمسِ فِيهاَ أربعُونَ يوماً بِها خلقٌ من خَلقِ اللهِ تعالى؛ لم يَعصُونَ اللهَ طرّفَةَ عين" فقالوا: يا رسول اللهِ أينَ الشيَّطانُ مِنهُم؟. فقال: "لا يَدّرُونَ خُلِقَ الشيَّطانُ أم لا" فقالوا: أمِن أولادِ أدمَ هم؟. فقال: "لا يَدّرُونَ أخلقَ آدمُ أم لا"(٣٢)

يُشِيّرُ الشيخُ العَلَّاويُّ: في الحديثِ إلى ما يدُلُ على إتسَاعِ مُلكِ الله تعالى، وعَظِيّمِ سُلطانِهِ، حيثُ ذكر أرضٌ بيضاءٌ، ويَذّكُرُ عَظمَتِهاَ، وأنَّ أهلَهَاَ لا يَدّرُونَ خُلِقَ الشيّطانُ أم لا. وما هيَّ إلا شيءٌ من جُملَة. أيّ من بعضِ خلقِ الله الواسعِ. وثَمَةَ أُمُورٌ لم يَتضِحُ كَشفُهاَ. وفيهِ أيضاً أنَّ العَوالِمَ السابِحةَ خارجَ عَالمِناَ هذا لا خِبرَّةَ لَهُم بِناَ.

وعليّهِ فمن إعتَقدَ أنَّ العوالمَ السابِقةَ مُنحسِرّةٌ في هاتِهِ الكُرَةُ الأرضيَّةُ فقد عَظّمَ هذهِ الأرضُ في نَظرةِ حتى حآدَتهُ عن عَظَمَةِ الله. إذ لَم يَلّتفِتُ إلى ما عِندَ اللهِ في الخارجِ عن هذاَ العالم. وأنَّ للهِ مَلَكٌ لو قِيلَ له الّتَقِمِ السمَاوَآتِ السّبعِ والأرَضِيّنَ بِلُقمَةٍ لَفَعل. و كُنتُ قد تَكلّمتُ معَ بَعضِ المنتَسبِيّنَ إلى العِلّمِ في الحديثِ نَفسِهِ فَذَكَرَ لي أنَّ سَائِرَ العَوالِمِ تُوجَدُ في عالَمِناَ هذا وأخذَ يَذّكُرُ في بعضِ الأجناسِ ويقول: "إنَّ الوُحُوشُ عالم والطيّورُ عالم..". إلى أن ذَكَّرَ ما شَاءَ الله.

فقُلْتُ: إنَّ هاتِهِ الأصنَافُ ذُكِرت في كلاَم اللهِ تعالى. عِندَ قولِهِ (**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**[٣٣]). فاعتَرَضَ ثمَّ أخَلَّدَ إلى الأرضِ. فقُلتُ صدَقَ اللهُ أحسَنُ القائِلِيَّن حينَ قال: (**وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ**[٣٤]). فلوْ رفَعَنَا رُؤُوسِناَ إلى السماءِ وستَغرَقنَاَ الفِكرَ في عجائِبِ الحِكمَةِ فِيّهاَ لَرَجِعَ الفِكرُ بما يُبّهِرُ العُقول، ولكن أخَذنَا من السماءِ زُرقَتَهاَ وضَيّ الكواكبِ فِيها وحسب.[٣٥]

إنَّ أهمَ ما يُعتَبّرُ في الكَونِ هو مواقِعُ النُجُوم. إذ يَقُولُ اللهُ تعالى: (**فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ**.. [٣٦]) ولآنَّ إستِعظَامُ القَسَمِ هُو لِعَظَمَةِ المقّسَمُ بِهِ، يَكُونُ عِندَ ذلِكَ الإلّتِفَاتُ لِعَظَمَةِ النجوم ومَحِلَّتِ مَواقِعِهاَ. ممّآ يَتَضِحُ بِهِ عِنديّ أنَّ أمرَ النُجُومُ مُعجِز. ولكن بُعدُ المِسَافَات وضَعفِ الإبصَّارِ أَوجَبَ لَهاَ الإحتِكَّار، مع أنهُ جاءَ في الأثرِ ما يَدُلُ على عِظَّمِ جُرّمِهاَ وعلى أنَّ النَجمَ الواحِدَ يَعَدُلُ الأرضَ أضعَافاً.

وإذا ثَبُتَ أنَّ النَجمَ الواحِدَ يَعدُلُ بأرضِنَاَ ما شَاَءَ اللهُ مع كَثرَةِ النُجُومِ التي لا تُستَقصَى، فَمِنَ الممكِنِ أن يُوجَدَ فِيهَاَ ما ذَكَرَهُ الشَارِحُ من ثَمَانِيَّةِ عَشرَ ألفَ عالم، وأَعلَّمَنَاَ أنهاَ عامِرةٌ.. وقد جَرت عادةُ اللهِ أنهُ ما من مكانٍ إلا وفيهِ سُكَّان على حَسبِ ما يَقتَضِيَّهِ ذلك المكان. [٣٧]

وعلى ذَلِكَ لم تَكُن دَعوَةُ العُلماءُ في عَصِرناَ الحدِيثُ هيَّ السابِقَةُ من نَوعِهَاَ للإشَارَةِ إلى وُجُودِ حياةٍ حول النُجُومِ البعيّدَةُ في الفضاءِ (وإن كُنا نعتَرِفُ لهُم بالجَميّلِ حولَ تطوّرِ عُلُومِ البَشرِ، بل ونُكّنُ لهُم أَسمى مَعانِي الإحتِرَام) إلا أنَّ حركّةَ النُجُومُ وسيّرِهاَ في نِظَامٍ دقِيقٍ، وكذلكَ اختِلاَفُ مَواقِعِهاَ قد وُرَدَ في الثقَّافةِ الإسلاميَّةِ من قَديّمِ الزمن. وكذلكَ وردَ مِثلُهُ في الدِيانَاتِ السماويَّةِ غَيرِ المحرّفَةِ التي جاءت قبلَ الإسلام.

ولقد ذكرت دِرَاسَاتٌ عديدةٌ أنهُ قد تكُونُ هناكَ حياةٌ قد سبقت على كوكَبِ المريَّخ. وقد تكلَّمَ عن ذلك الدكتور كارل ساغان وقالَ أنهَاَ عِبارةٌ عن توقُعاتٍ غيرَ مَدعُومَةٍ بالأَدِلَّةِ العِلميَّةِ عليها بعد. ولقد تحدثت أكثرُ من شركةٍ من شركاتِ الفضاءِ عن تَوقُعاتِ وجُودِ

حياةٍ في قمرِ "أوروبا" أحدِ أقمارِ كوكبِ المشتَرى بسببِ أعمدِ البُخارِ المائيُّ التي شُوهِدت على سطحهِ بواسطةِ المراقبِ الفلكيَّة، ويُعدُ هذا الكشفُ من أهمِ أولوياتِ علماءِ الفضاءِ والكشفِ عن حياةٍ خارجَ كوكَبِ الأرض.(٣٨)

وبعد الذي تقدمَ من أراءٍ حولَ وجُودِ كائناتٍ في الفضاءِ، نتساءلُ في نِقاطٍ عن ماهيةِ كائناتِ الفضائي وكيفيَّةِ حياتِهاَ بما يلي:

*ــ هل هذهِ الكائناتُ؛ هي كائناتٍ ذاتِ أشكالٍ معتادةٍ؟ أو حتى مرئيةٍ؟ أو مُكونَةٌ من أجسادٍ مؤلفةٍ أو موادٍ مثلنا؟.

*ــ نفترض جدلاً أنَّ كُلَ كائنٍ يحيا في مكانٍ يُشبهُهُ، فتكون هناكَ كائناتٍ مصنوعةٍ من الكرّبُون أو من النَيّترُوُن أو غيرهما، فكيفَ سيتمُ التعاملَ معها؟.

*ــ وإن كانت هذهِ الكائناتُ طاقاتٍ مؤلفةٍ من إشعاعاتٍ معينةٍ أو كهاربَ أو أضواءَ مثل التي في عالمِناَ الأرضيُّ لكن بشكلٍ مُميتٍ، فكيف سنتوقى خطرها؟.

*ــ أو تكونُ كائناتٍ تعيشُ على الصخورِ وتُنتِجُ مِنهُ طعامَها وشرابهاَ، أو تتنفسُ الغازآتُ القاتلةُ لنا، أو تنتهزُ الفرصةَ فتعرفُ الطريقَ إلى أرضِناَ وتُدمِرُنا، فماذا سنفعلُ وقتها؟، وكيف سنختَبِئُ منها؟.

*ــ أليس من المتوقَعِ أن تكونَ لهذهِ الكائناتُ قدرةٌ على التخفي؟، وتُحِيطُ بمركباتِ الفضاءِ الخاصةِ بِبَني البشرِ حينَ تَحُطُ على كواكِبهاَ فتدرُسُها ونحنُ لا ندري كما صورَ ذلِكَ الخيالُ العلميُّ ويكونُ بالفعلِ حقيقةٌ؟، أو تحيا في أنفاقٍ داخلَ كواكِبهاَ التي نسيرُ عليّهاَ، فتكونُ حياتَهَاَ في باطنِ أرضِها؛ وكلُ أشكالِ حضارتِهاَ توقياً للمخاطرِ والتقلباتِ الطبيعيَّةِ في عوالِمِهَاَ ؟.

*– ولماذا لا نفترضُ أن تكونَ كلُ كائناتِ الأرضِ لها أصولٌ في كلِ كواكبِ الكونِ المسكونةِ (نُسخ متكررةٌ لكن بتغيّرِ الأدوارِ) ونكُونُ نحنُ كذلكَ نمُوذجاً من ضمنِ هذهِ النماذجِ المتكررَة.

*– فمثلاً، نذهبُ إلى كوكبٍ فنجد فيهِ المسيّطِرُونَ عليهِ عالمُ القطط؛ أو الثيران؛ أو الطيور؛ أو كائنات البحار؛ ويَطلُّبُ مِناَ وقتها الخُضُوعُ لهُم، والعملُ تحتَ أوآمِرهم.. فما هو موقِفُناَ حيالَ ذلكَ وقتَهَا؟. هل سنقبلُ بسيادتِهَاَ علينا كما نحنُ أسياداً لها هُنا؟. أم يكتَشِفوا أنَّ أبناءَ عُمومَتِهم عِندناَ مسخرون؛ فيُعلِنوا الحروبَ علينا انتصاراً لهُم؟.

*ــ الأهمُ من ذلك جميعاً هو السؤال بـ: هل وُصُولُناَ إلى عوالِمِ هذهِ الكائناتِ سيُفيدُ في شيء؟.

*ــ لو كان البحثُ عن هذهِ العوالِمِ تحققَ بالإيجابِ ووَصلّنَا إليها، ووجدناَ ما يُفِيدُناَ بالفعل، فهل سيسعُناَ سُكَّانُهَاَ لِنعِيشَ معهُم؟. أم سوفَ نكُونُ محطَ توتُرٍ لهم ولن يُرحِبوا بوُجُودِناَ، كما الحال معنا لو فعلوا ذلك عِندَناَ؟.

إن رسولَ اللهِ محمدً صلى الله عليه وسلم أخبرَ عن وجُوُدِ هذهِ العوالِمِ؛ ولكنه سكت عن الإخبار بلِقَائِنَا بأهلِهَا يوماً ما من أيامِ إقامتِناَ في عالمِ ما قبلَ الموت، وبالتالي سنَتَمكَنَ من حلِ شفرتِهِم، إلا أنَّ الأمرَ يحتاجُ مجهُوداً فكرياً من رجالِ الفلسفةِ والفلكِ والفضاءِ والخيَّالِ العلميُّ لحلِها. والمؤكَدَ كذلكَ أنناَ سوفَ نَتَقابَلُ معهُم بعدَ رحيلِناَ وإياهُم إلى عالمِ الجناتِ، الذي يجمَعُ كلُ كائِنَاتِ الأرآضينَ المسكُونَةِ في الفضاءِ ولو على التراخي، حيث لا تستَحِيّلُ الرؤيَّا بيّنَ الخلقِ جميعاً وقتها بنعمةِ الله.

_ التعقيب _

إنَّ الكونَ في أنَظِمَةِ الطَآقَةِ المرئيَّةِ مِنهُ واللآ مرئيَّةُ شَبيّهٌ بالأنفاَقِ والمغَاراَتِ الجَيّبِيَّةِ المتَداخِلَّةُ التي تُرهِقُ العُقُّلَ في البَحثِ عنهاَ. ولِرحمَةِ اللهِ بِنا حَبسَهاَ عن عالِم الشهُودِ النَافِعِ لِحيَّاتِناَ. ولو تَمهَلّناَ أمامَ بَسَاطَةِ العِبآرَةِ هذهِ لَعلِمنا سِعةَ الكون الرهيبةِ، وتَعدُد الكائنات الواقعةَ فيه والتي لا يعلم حقيقتها إلا الله.

فلو أظهر اللهُ أعمدةَ الجذبِ العام التي تُمسك الأرض ثابتةً في مدار الشمس ممدُودةٌ ولها أوتاد، لوجدنا أن الأرض في كلِ مترٍ يَشغَلُها كبلٌ كالفُولاز متجهاً إلى الشمس. ولَفَسدت معهُ الحياة، من عمارةٍ ومواصلاتٍ وزراعةٍ وغَيرِ ذلك، وكانت وقتها أشبّهَ ما يكون بغابةٍ لا تُطَاق. لذلك أخفاها الله. وعلى ذلك تقاس حياة كُلُ كائنٍ غيرِ مرئيّ، إنما الأمرُ نَحوَه لا يتّمُ بالتشكيكِ والرفض لوجوده من بابِ أنهُ لا يخضع للتجربةِ العلميةِ.

فعالم البِكتريا مثلاً يظهر منه في كل مرحلةٍ نبحثُها مليارات الأنواع التي لا يعلم سرَ أحماضِها النوويّةِ إلى الأن أحدٌ من البشر، مع أننا رأيناها لكن لم نرى السر من ورائها. وكذلك عالم الأثير والسيالاتِ العصبيةِ وعالم النفسِ والرُوحِ في كنفِ الوجودِ الأرضيّ وغَيرِ الأرضيّ. لكُلِ كائنٍ عرفناهُ أو غابت حقِيقَتُهُ عن مرامي الفكر الإنّساني. ما يظهر معهُ أن ما قدمناه قليلٌ من كثير بل نكاد لا نُبرهن على شيءٍ حتى ولو تحولت أشجارُ الأرضِ أقلامٌ وتحول ماؤُها إلى حِبرٍ تتشكّل بهِ مَدَائِنَ الكلماتِ، لنكتبَ بهِ عن حقيقةِ كلِ موجودٍ ما إستطَعنا. هكذا أخبرَ اللهُ تعالى عن حدودِ ممالكهِ وهوا أعلّمُ بها.

على كُلِ حال قد يكون لكارل ساغان عُذره في أن الحقيقةَ لمّ تُنقل له بتمامِ نُضُوجِ عقلهِ. لكن لا عُذرَ لعلماءِ اليومِ والحقيقةَ تَقعُ تَحتَ أناملِ بحثِهم. فقط علينا مراجعةِ وتحليلِ النُصوصِ الصحيحةِ الواردةِ في الخبرِ الصادقِ نحوا أي موضوعٍ يتعلق بالإيمانِ. ولا نستنِد إلى الكِتابات الواهيةَ ونحنُ نعلم خَطَأُهَا، إن كُنا ننوي الوُصولَ بصدقٍ للحقيقة.

الهوامش:

(١) كارل ساغان – عالم تسكنه الشياطين – ص:٣٢٠. بتصرف.

(٢) كارل ساغان – عالم تحكمه العفاريت – ص:٦٦ .

(٣) كارل ساغان – بلايين وبلايين – ص: ١٩٧ .

(٤) دراسات في الفلسفة الحديثة – الدكتور ثروت حسن عبدالرحمن مهنا – الأستاذ بقسم العقيدة والفلسفة – جامعة الأزهر – طبعة الأولى ٢٠٠٦ – ص: ١٨١، ١٨٠

(٥) سورة الأعراف الآية : ٤٥.

(٦) إميل بوتروا – العلم والدين في الفلسفة المعاصرة –الدكتور أحمد فؤاد الأهواني – الناشر: الهية المصرية العامة للكتاب – الطبعة: الأولى سنة ١٩٧٣م – ص: ٧/٦ .

(٧) الله يتجلى في عصر العلم – تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين – أشرف على تحريره جون كلوفر مونسيما – ترجمه وعلق عليه الدكتور محمد جمال الدين الفندي استاذ الطبيعة الجوية بكلية العلوم جامعة القاهرة – الحاصل علي جائزة الدولة في العلوم سنة ١٩٥٠م – الناشر دار القلم – بيروت لبنان – جـ١ – الكتاب موافق للمطبوع – المكتبة الشملة (لم يذكر سنة النشر) – ص: ٤٧، ٤٦، ٤٥

(٨) مصطفى محمود – رحلتي من الشك إلى اليقين – الطبعة الخامسة – دار المعارف كورنيش النيل – القاهرة – ص: ٨ بتصرف.

(٩) عباس العقاد – الفلسفة القرآنية –نهضة مصر للطباعة والنشر – الفجالة القاهرة – الطبعة الأولى ١٩٤٧م/١٣٦٦ هـ – ص: ٣

(١٠) عباس العقاد – الفلسفة القرآنية – ص: ٥

(١١) كارل ساغان – كوكب الأرض – ص:٣٩.

(١٢) كارل ساغان – كوكب الأرض – ص:٣٩.

(١٣) كارل ساغان – كوكب الأرض – ص:٣٩.

(١٤) كارل ساغان – كوكب الأرض – ص:٣٩.

(١٥) الكتاب المقدس – العهد القديم – صفر التكوين – الإصحاح الأول – الناشر من اللغات الأصلية دار الكتاب المقدس القاهرة – ص:٢

(١٦) سورة الأعراف – الآية: ٥٤.

(١٧) ضوء الليزر ينتقل بسرعة قدرها ٩٩,٩٧٪ من سرعة الضوء في الفراغ. اندماج ديوتريوم مع تريتيوم يخلق هليوم–٤، محرراً نيوترون، ومطلقاً ١٧,٥٩ MeV من الطاقة بتحويل كتلة طبقاً لقانون($E=mc^{2,2}$) سرعة الضوء في الفراغ هو ثابت فيزيائي مهم يرمَز له بالحرف c للدلالة على الثبوت (Constant) أو الكلمة اللاتينية celeritas. قيمة c الدقيقة هي (٢٩٩,٧٩٢,٤٥٨ كم / الثانية). (١,٠٧٩,٢٥٢,٨٤٨,٨ كم /الساعة). لاحظ أن هذه السرعة هي تعريف وليس قياس منذ أن تم توحيد الوحدات العالمية، تم تعريف المتر على أنه المسافة التي يقطعها الضوء في الفراغ خلال ٢٩٩,٧٩٢,٤٥٨/١ من الثانية. سرعة الضوء تتغير بحسب الوسط الذي يتحرك الضوء فيه. عند عبور الضوء خلال مواد شفافة مثل الزجاج أو الهواء تقل سرعته. النسبة بين سرعة الضوء في الفراغ وسرعتة خلال مادة تسمى معامل الإنكسار Index Of Refraction. كذلك تتغير سرعة الضوء بتأثير الجاذبية ما يولد ظاهرة عدسات الجاذبية Gravitational Lensing. – مقال بعنوان – سرعة الضوء – ٢٤ الناشر موقع مجلة عالم المعرفة – المجلس الأعلى للعلوم والثقافة والفنون – وزارة الثقافة الكويتية – يناير ٢٠١٤م.

(١٨) سورة إبراهيم – الآية: ٥

(١٩) راجع مقال الكاتب الدكتور/ أحمد رسلان, بعنوان: قياس الوقت – رحلة في تاريخ الحضارة – أخر تعديل بتاريخ ٢٠٢٠/١٠م – مسابقة عالم الإبداع – الناشر مجلة أرجيك – الإمارات العربية المتحدة. وكذلك راجع مقال الصحفية هانا فراي, بعنوان: كيف كانت الحياة قبل اكتشاف "الصفر" – ١٢ ديسمبر/ كانون الأول ٢٠١٦م – جريدة الأخبار B. B. c نيوز عربية لعلوم التكنولوجيا والفضاء ٢٠٢١ م.

(٢٠) سورة النحل – الآية: ٧٧

(٢١) سورة القمر– الآية: ٥٠

(٢٢) سورة يونس – الآية: ٤٥

(٢٣) سورة المعارج – الآية: ٤

(٢٤) حسب التعريف الدارج الذي تم وضعه سنة ١٩٨٣ سرعة الضوء هي بالضبط ٢٩٩,٧٩٢,٤٥٨ كم/ الثانية، تقريباً ٣ × ٨^١٠ متر في الثانية، أو ٣٠ سنتيمتر في النانو ثانية. – موقع مجلة عالم المعرفة – المجلس الأعلى للعلوم والثقافة والفنون – وزارة الثقافة الكويتي – تاريخ النشر ٢٤ يناير ٢٠١٤م.

(٢٥) قد حاول ألبرت ميشلسون **Albert Michelson** المولود ببروسيا والمترعرع في الولايات المتحدة، تكرار أسلوب فوكو في عام ١٨٧٩ ولكنه استخدم مسافةً أطول، فضلًا عن المرايا والعدسات عالية الجودة للغاية. وعندما أعاد ميشلسون قياس السرعة، قُبِلت نتيجته التي بلغت ١٨٦,٣٥٥ ميلًا في الثانية (٢٩٩,٩١٠ كم / ثانية) كأقصى دقةٍ لسرعة الضوء لمدة ٤٠ عامًا. المصدر:

https://nasainarabic.net/main/articles/view/how-fast-does-light-travel?fb_comment_id=٢٠٦٧٤١٤٤٧٩٩٦٥٩٠٨_٥٧٦٩٧٧٦١٤٦٣٩٦٣٧١

(٢٦) يبلغ عمر الكون ١١,٤ مليار سنة حسب الدراسة الجديدة.. قد اعتمد باحثون ألمان في معهد "ماكس بلانك" حسابات مختلفة، اتخذت مقاربات متفاوتة لمعرفة عمر الكون الحقيقي. وقال الباحثون إن

التقنيات المختلفة في حساب عمر الكون أدت إلى تقديرات غير دقيقة في السابق. واعتمد العلماء في تحديد عمر الكون على "قانون هابل"، الذي يعبر عن معدل توسع الكون بالسرعة.. لكن الباحثين الفلكيين في معهد "ماكس بلانك" يقولون إن هناك خطأ في هذه الحسابات، قائلين إن الأمر يتطلب معيارا آخر من أجل تحويل المسافات النسبية إلى مسافات مطلقة. وخلص الباحثون إلى أن عمر الكون هو ١١,٤ مليار سنة، وليس ١٣,٧ مليار سنة كما كان سائدا في السابق. واستند الباحثون في نتائجهم هذه إلى أن سرعة توسع الكون تصل إلى ٨٢,٤ كيلومتر في ثانية وليس ٧٠ كيلومتر في الثانية، كما كان العلماء يعتقدون في السابق.

– مقال بعنوان: بحث فلكي جديد يكشف "عمر الكون الحقيقي"١٤ سبتمبر ٢٠١٩ – الناشر مجلة سكاي نيوز عربية– تاريخ المراجعة للموقع الدقيق ٢٠٢١م.

(٢٧) وفي عام ١٧٢٨، ارتكزت حسابات الفيزيائي جيمس برادلي **James Bradley** على التغير الذي يعتري موضع النجوم الظاهر بسبب دوران الأرض حول الشمس. وقد وضع سرعة الضوء كالتالي ١٨٥,٠٠٠ ميل في الثانية (٣٠١,٠٠٠ كم/ثانية) بدقةٍ بحيث لا يتجاوز الخطأ ١ في المئة. وفي منتصف القرن الثامن عشر، أدت تجربتان جديدتان لإعادة الخلاف إلى الواجهة، حيث وضع الفيزيائي الفرنسي هيبوليت فيزيو **Hippolyte Fizeau** أشعة شمس على عجلةٍ مسننةٍ تدور بسرعةٍ بالإضافة إلى مرآةٍ موضوعةً على بعد خمسة أميال لينعكس الضوء مرةً أخرى إلى مصدره. المصدر:

https://nasainarabic.net/main/articles/view/how-fast-does-light-travel?fb_comment_id=٢٠٦٧٤١٤٤٧٩٩٦٥٩٠٨_٥٧٦٩٧٧٦١٤٦٣٩٦٣٧١

(٢٨) حديث (خطبنا رسول الله ..) – الراوي الإمام أنس بن مالك – المحدث بن حجر العسقلاني – المصدر كتاب: الأمالي المطلقة – الصفحة أو الرقم: ٢٠٠ – خلاصة حكم المحدث : حسن وله شاهد –

موقع الدرر السنية – الموسوعة الحديثية – موقع موثق على منهج أهل السنة – المشرف العام الشيخ /علوي بن عبدالقادر السقاف – لجنة الإشراف العلمي – منهج العمل في الموسوعات جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة الدرر السنية ١٤٤١ هـ بتاريخ: ٢٠٢١/١/٢٤م.

(٢٩) موقع سؤال وجواب – إسلام ويب – الإدارة العامة للأوقاف المصرية – بتاريخ: ٢٠٢١/١/٢٤م – عرض لتفسير المنار – سورة الأعراف – فصل فيما ورد في قرب الساعة وأشراطها وما قيل في عمر الدنيا .

(٣٠) كارل ساغان – الكون – ص:٣٦.

(٣١) كارل ساغان – عالم تسكنه الشياطين – ص:٩٠. بتصرف.

(٣٢) أحمد بن مصطفي العلاوي – مفتاح الشهود في مظاهر الوجود – المطبعة العلاوي مستغنم – الطبعة الثالثة – ص: ٢٦، ٢٩

(٣٣) سورة الأنعام . الآية: ٣٨ .

(٣٤) سورة الأنبياء . الآية: ٣٢ .

(٣٥) أحمد بن مصطفي العلاوي – مفتاح الشهود في مظاهر الوجود – ص ٢٦، ٢٩

(٣٦) سورة الواقعة . الآية: ٧٥ .

(٣٧) أحمد بن مصطفى العلاوي – مفتاح الشهود في مظاهر الوجود – ص: ٢٩ بتصرف.

(٣٨) مقال بعنوان: العثور على دلائل تشير إلى وجود الحياة على "أوروبا" – الناشر مجلة العلوم والتكنولوجيا – وكالة ناسا الفضائية – بتاريخ ٢٠١٩/١١/٢٠م.

المراجع والمصادر

١- القرآن الكريم.

٢- التوراة والإنجيل - مترجم من اللغات الأصلية - دار الكتاب المقدس - القاهرة طبعة ١٩٨٣م-

٣-عباس العقاد - موسوعة العقاد _ حقائق الإسلام واباطيل خصومه ، ضمن مجموعةِ العقاد -كلمة سكرتير المؤتمر الاسلامي - تحريرا في ٢٣ شعبان الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ ١٩٧٥ - دار الكتاب العربي - بيروت لبنان .

٤- محمد راتب النابلسي - موسوعة الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة —دار المكي للنشر - سورية دمشق — الطبعة الاولى ٢٠٠٥م - ١٤٢٦هـ.

٥-نظمى خليل - آيات معجزات في القرآن الكريم وعالم النبات —دكتور فلسفة العلوم جامعة عين شمس - دار الجميل للنشر ٢٧ رجب ١٤١٧هـ ٧ديسمبر ١٩٩٦م.

٦-مصطفي محمود - سواح في دنيا الله —المكتبة العربية - قطاع الثقافة - الأعمال الكاملة للدكتور مصطفي محمود — دار أخبار اليوم ٢٠٠٧م.

٧-الموسوعة المسيحية العربية الإلكترونية — تحت عنوان (عمر الأرض تسعة ألاف سنة) — إستخدام الموقع الدقيق — جمهورية مصر العربية — بتاريخ ٢٠٢١/٢م.

٨- موقع سؤال وجواب - إسلام ويب - الإدارة العامة للأوقاف المصرية - بتاريخ: ٢٠٢١/١/٢٤م - عرض لتفسير المنار - سورة الأعراف - فصل فيما ورد في قرب الساعة وأشراطها وما قيل في عمر الدنيا .

٩- عالم مصري بارز يكشف رأيه في الكائنات الفضائية — الناشر مجلة سكاي نيوز عربية — أبو ظبي- بتاريخ ٩يناير ٢٠٢١م.

١٠- العثور على دلائل تشير إلى وجود الحياة على قمر "أوروبا" – الناشر مجلة العلوم والتكنولوجيا – وكالة ناسا الفضائية – بتاريخ ٢٠١٩/١١/٢٠م.

١١- الجنة والنار.. من الكتب السماوية للأسطورة.. الفراعنة أول من آمنوا بالحياة الأخرى فى "كتاب الموتى".. والجنة سميت عندهم "يارو" والنار "سج".. أسطورة "جلجامش" وضعت النار فى طبقات الأرض – جريد اليوم السابع – مصر- الاثنين، ٢٨ أغسطس ٢٠١٧م.

١٢- كيف يرى اليهود "الجنة والجحيم"؟ – بقلم: سارة شريف – ١٥ يوليو ٢٠٢١ – الناشر مجلة جريدة الدستور – رئيس مجلس الإدارة والتحرير – د. محمد الباز – رئيس التحرير – وائل لطفى الجمعة ٢٣/أبريل/٢٠٢١ .

١٣- عبد الوهاب المسيري – موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية – دار الشرق – مصر – الطبعة ١ – ٢٠٠٣م .

١٤- السيوطي – أسرار الكون في القرآن – دار الحرف العربي ببيروت بلبنان – الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م .

١٥- الثقب الأسود ينفخ سحبا عالية السرعة من البلازما الأربعاء١/١/٢٠٢٠م. – مؤسسة بوابة العين الإخبارية – هذا الموقع يستخدم ملفات تعريف الارتباط Cookies – قسم علوم الفضاء – جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة بوابة العين الإخبارية للأعلام والدراسات ٢٠٢٠م.

١٦- إشعاع الخلفية الكونية الميكرويّ – التاريخ ٢٠١٥ – التصنيف: أسئلة كُبرى وقت – المصدر – ناسا لعلوم الفضاء.

١٧- بين السماء والارض - صحيفة الخليج — ملحق علوم و بيئة - س — ج — تاريخ النشر- ١١ فبراير ٢٠١٥ — أخر تعديل - الأحد ١٧ ذو القعدة ١٤٤٢ هـ ، ٢٧ يونيو ٢٠٢١ م.

١٨-مقارنة الأديان اليهودية - أحمد شلبي - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - الطبعة الثامنة ١٩٨٨م - ص ١٧٣.

١- The Beginning and The End of Everything: From the Big Bang to the End of the Universe، Paul Parsons، Michael O'Mara، ٢٠١٨.

٢- The Cosmic Mystery Tour: A High-Speed Journey Through Space and Time، Nicholas Mee، Oxford University Press، ٢٠١٩.

٣- A Fortunate Universe: Life in a Finely Tuned Cosmos، Geraint F. Lewis and Luke A. Barnes، Cambridge University Press، ٢٠١٦.

٤- Before The Beginning: Our Universe And Others، Martin J. Rees، Basic Books، ١٩٩٧.

٥- Our Final Hour: A Scientist's warning، Martin J. Rees، Perseus Books Group، ٢٠٠٤.

٦- The Theory of Everything: The Origin and Fate of the New Millennium، Stephen Hawking، Universe Entertainment، ٢٠٠٢.

٧- Stephen Hawking، The Universe in a Nutshell، ٢٠٠٢.، Bantam

٨- The Particle at the End of the Universe: How the Hunt for the Higgs Boson Leads Us to the Edge of a New World، Sean Carroll، Dutton.، ٢٠١٢.

٩- The Disordered Cosmos: A Journey into Dark Matter، Spacetime and Dreams Deferred، Chanda Prescod-Weinstein، Bold Type Books.، ٢٠٢١.

١٠- Light in the Darkness: Black Holes، the Universe، and Us، Heino Falcke، HarperOne.، ٢٠٢١.

١١- Our Universe: An Astronomer's Guide، Jo Dunkley، Pelican.، ٢٠٢٠.

١٢- The End of Everything (Astrophysically Speaking)، Katie Mack، Scribner.، ٢٠٢٠.

١٣- Mars and the Human Mind - Publisher. ASIN: ٠٠٦٠١٠٤٤٣٠ Harper & Row United States of America (Untranslated) - First Edition January ١٩٧٣ AD. The number of pages is ١٤٣ pages.

١٤- Symbol hidden in the Great Pyramid of Giza opens a "wonderful discovery" - Publisher rt nline newspaper -

Department of Science and Technology – Publication date: ٠٨/١٤/٢٠٢١ AD.